

حرب إسرائيل على غزة تضع الفلسطينيين في حالة صدمة وتساؤلات حول "تواطؤ وسائل الإعلام في الإبادة الجماعية"

الخميس 17 أكتوبر 2024 06:25 م

بعد عام كامل من الحرب الإسرائيلية على غزة، اعتقدت ليلي الحداد أنها رأت كل شيء ولأنها من غزة نفسها، فقد شهدت احتلال إسرائيل للقطاع بشكل مباشر كصحفية هناك في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

وخلال العام الماضي، كانت مرتبطة بهاتفها، تتصفح بلا نهاية خلاصات وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بها لمشاهدة أحدث مقاطع الفيديو القادمة من غزة. لقد شاهدت أطفالاً تُقطع رؤوسهم بالقنابل الإسرائيلية، وجثثاً تتحلل على الأرض، وآباء يحملون جثث أطفالهم الهامدة وأطرافاً، أطرافاً لا حصر لها، في كل مكان.

ولكن يوم الأحد، عندما ضربت غارة جوية إسرائيلية مخيمًا للمستشفى الفلسطيني للنازحين في دير البلح بغزة، مما تسبب في اندلاع حريق هائل ومقتل العديد من الأشخاص، علمت ليلي الحداد أن هناك أهوالاً لم تشهدها بعد.

قالت حداد لموقع ميدل إيست آي: "إنه أمر ساحق لأنك ترى كل شيء يسوّى بالأرض، ويُدفن، ويسوّى، ويحترق أمام عينيك كل ما كنت تعرفه ينهار ويختفي، وتشعر وكأنك لا تستطيع فعل أي شيء حيال ذلك".

استقبل الأميركيون مشاهد المستشفى المؤقت في دير البلح برعب مطلق على وسائل التواصل الاجتماعي. كانت واحدة من عدة لحظات تم التقاطها في الحرب الإسرائيلية على غزة والتي انتشرت على الفور، وحظيت بملايين المشاهدات في غضون ساعات قليلة.

بالنسبة للفلسطينيين الذين يعيشون في الولايات المتحدة، فإن لقطات حرق شعبان الدلو البالغ من العمر 19 عامًا حياً أثناء استلقائه على سريره في المستشفى وموصولاً بجهاز وريدي، فتحت مستوى جديدًا من الألم لم يكن الكثيرون يعرفون بوجوده، بعد أن شهدوا قصف القوات الإسرائيلية المستمر لغزة منذ أكتوبر 2023.

قال منير، أحد أعضاء حركة الشباب الفلسطينية (PYM) الذي اختار استخدام اسمه الأول فقط، لموقع ميدل إيست آي: "إن الصور من دير البلح محفورة في ذاكرتي وذاكرة كل شخص ذي ضمير حول العالم رأى تلك الصور في كل مرة نعتقد فيها أننا وصلنا إلى قاع فساد هذه الإبادة الجماعية الإسرائيلية، تزداد الأمور سوءاً".

تسبب انتشار مذبحته المستشفى يوم الأحد في قيام العديد من المنافذ الإخبارية الكبرى بتغطية الحادث ولكن منذ بدأت إسرائيل في تصعيد الحرب على غزة إلى صراع إقليمي الشهر الماضي، تحول قدر كبير من اهتمام وسائل الإعلام الأميركية نحو حرب إسرائيلية محتملة مع إيران.

ومع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية بعد أسابيع قليلة، توقفت الحرب على غزة عن تلقي نفس القدر من الاهتمام، على الرغم من أن القوات الإسرائيلية تواصل هجومها على القطاع على أساس يومي تقريباً.

فخلال الساعات الأربع والعشرين الماضية وحدها، قُتل أكثر من خمسين فلسطينياً في غزة على يد القوات الإسرائيلية.

وأضاف منير: "إنه لأمر مؤلم للغاية أن نستمر في مشاهدة هذا الرعب يتكشف أمام أعيننا بينما نرفض وسائل الإعلام الأميركية الاهتمام على الإطلاق".

وتابع: "لقد أوضح لي هذا أن وسائل الإعلام الرئيسية متواطئة تماماً في هذه الإبادة الجماعية".

والحقيقة أن عدم رؤية معظم الأميركيين لهذه الصور أمر غير مقبول، وخاصة في ضوء حقيقة أننا نقوم حرفياً بتمويل هذه الإبادة الجماعية غزة هي بوصلتنا الأخلاقية".

لا يزال نصف عائلة حداد في شمال غزة، التي تخضع حالياً لحصار عسكري إسرائيلي، حيث يقول الجنود الإسرائيليون إنهم ينفذون "خطة الجنرال".

لقد فقدت الاتصال بالعديد من أقاربها الذين ما زالوا يعيشون هناك حالياً، وتقضي الكثير من وقتها في التفكير في مصيرهم.

كلما تمكنت من التحدث إلى أحد أفراد الأسرة، تحاول إجراء محادثات عادية بدلاً من التركيز على الخوف المستمر من القتل على يد القوات الإسرائيلية.

وتصف حداد: "في بعض الأحيان، بصراحة، نحاول أن نضحك أو نتبادل بعض الأحاديث العادية. يقيم أحد أبناء عموتي في مزرعة صغيرة لنا. لذا أسأله عن أشجار الزيتون وما تزرعه، وكيف يسقونها".

وأضافت: "كما تعلمون، يخبرني كيف يستخدم كل ما يستطيع زراعته لمساعدة الناس وتوزيعه عليهم".

لكن من الصعب كبح جماح الحزن عندما يضطر الفلسطينيون في الشتات إلى مشاهدة الفظائع التي ترتكبها إسرائيل ضد الفلسطينيين على أساس يومي تقريباً.

لقد اختفت غزة التي عرفتها حداد، وهي تعلم أنها لن تعود على الأرجح أبداً.

وقالت: "معظم الأشياء التي تعرفها وتذكرها اختفت الآن. لقد اختفى منزل جدي واختفت عمتي واختفى كل حيّنا في مدينة غزة والرمال، وكل الأماكن التي كنا نزورها ونصلي فيها".

لمدة عدة أسابيع، توقف والد حداد البالغ من العمر 80 عامًا عن التحدث بسبب شعور ساحق بالحزن واليأس.

ولجعله يشعر بتحسن، انتهى الأمر بحداد بالاتصال بأحد أقاربها في شمال غزة.

قالت حداد: "أخيراً، قمت بإجراء مكالمة هاتفية مع ابن أخيه الأكبر في غزة، والذي يعمل نوعاً ما كوصي على الجميع هناك، وكان يحاول رفع معنوياته. تخيل أنه في غزة كان يحاول رفع معنويات والدي، قائلاً: "أنت كبيرنا وأكثرنا احتراماً، وسيكون كل شيء على ما يرام، ونحن جميعاً نحبك".

أعادتها تلك اللحظة إلى محادثة حديثة أجرتها مع شابة في غزة، والتي أخبرتها حداد أن الفلسطينيين في غزة لا يحتاجون إلى العالم بل إن العالم يحتاج إلى الشعب الفلسطيني في غزة.

تذكرت حداد أن الشابة قالت: "الناس يسيئون الفهم العالم يحتاج إلينا لأننا أصبحنا البوصلة الأخلاقية للعالم".

"رفض سياسة اليأس"

على الرغم من الوضع المتدهور في غزة، فإن العديد من الأمريكيين الفلسطينيين يتمسكون بالأمل [1] إن الأمل لا يتجه نحو الاعتقاد بأن الولايات المتحدة ستُجري تغييراً في سياستها، مثل مطالبة إسرائيل بإنهاء حربها أو قطع المساعدات العسكرية عنها، بل إن الشعب الفلسطيني الذي يعيش في غزة والضفة الغربية سيستمر في مقاومة حرب إسرائيل واحتلالها وإخضاعها لحياتهم [2] وفي الوقت نفسه، سيستمر الفلسطينيون الأمريكيون في الولايات المتحدة في التنظيم والتعبئة في الشتات لجذب الانتباه إلى محتهم الجماعية [3]

وقال حاتم أبو دية، رئيس شبكة الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة، لموقع ميدل إيست آي: "هذه المشاهد تفرض علينا كأفراد فلسطينيين ولبنانيين ويمنيين وسوريين وعراقيين وعرب وإيرانيين، إلخ، وعلى مجتمعنا كمجموعة [4] آليتي الخاصة في التعامل مع الأمر تتلخص في الاستمرار في القيام بما أعرفه، ومحاولة القتال والنضال والتنظيم كل يوم لبناء حركة أكبر وأقوى من المجتمع والطفاء لتحدي الحكومة الأميركية لإنهاء تواطؤها واستخدام قوتها لوقف الإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل الإرهابية ضد شعبنا".

ويقول أبو دية إنه لا يعتقد أن الاهتمام بغزة يتضاءل ويقول إن المؤمنين بالقضية الفلسطينية سيحافظون على القضية في طليعة الخطاب العام [5]

وتابع: "وستأكد من أن كل محادثة حول انتخابات نوفمبر في الولايات المتحدة تتضمن مواقف المرشحين بشأن فلسطين والإبادة الجماعية [6] ولن نسمح بتجاهل معركتنا، ولن نتوقف أبداً على الطريق إلى فلسطين الحرة، من النهر إلى البحر".

بعد مرور عام على الحرب، تواصل حركة الشباب الفلسطيني تنظيم المسيرات والمظاهرات في المدن الكبرى في جميع أنحاء الولايات المتحدة [7]

وقال منير من حركة الشباب الفلسطيني: "إن اليأس والاكتئاب والشعور المذهل بالعزلة يمكن أن يكون ساحقاً [8] نحن نرفض الاستسلام لسياسات اليأس وللشعور بالعجز الذي يحاولون خلقه معنا، ولهذا السبب فإننا نجتمع بانتظام للتنظيم والتعبئة وتنشيط مجتمعاتنا".

<https://www.middleeasteye.net/news/israels-gaza-war-leaves-palestinians-trauma-questions-media-complicity>